

## التفسير الطبي لآية (إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة)

صبحي شوقي زردق<sup>1</sup>

<sup>1</sup> استشاري أمراض المخ والأعصاب والطب النفسي، مدينة الدلنجات، محافظة البحيرة، مصر.  
بريد إلكتروني: [dr.sobhyzordok@gmail.com](mailto:dr.sobhyzordok@gmail.com)

استلام 2025/3/30، موافقة: 2025/5/24، نشر: الإثنين، 5 محرم 1447، الموافق 2025/6/30

### ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز التفسير الطبي لسلوك التحرف والتحيز القتالي في أرض المعركة الوارد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ...﴾ (سورة الأنفال)، كاستراتيجيات عسكرية نوعية من بعض المحاربين عند ملاقات العدو، من خلال الكشف عما وراء تلك الاستراتيجيات القتالية من مهارة عقلية فذة، مسترشداً في ذلك بأقوال المفسرين. ومن أجل ذلك قمت بكتابة مقدمة عن علم الأعصاب المعرفي والقدرات العقلية للإنسان. ثم قمت بذكر النص القرآني، وبيان أقوال المفسرين. ثم ذكرت التوجيه العلمي الخاص بوظائف العقل عامة، والوظائف التنفيذية خاصة. ثم ذكرت التفسير الطبي للآية الكريمة رابطاً بين معناها في كتب التفاسير، والمعنى الطبي. فجاءت النتائج بأن تحرف الجنود للكشف عن ثغرة ومهاجمتها، أو تحيزهم إلى فئة أخرى أقوى أثناء القتال، هما نوعان مما يُسمى طبيياً بـ "التفكير الإبداعي"، و "التبديل بين المهام"، المنبثقان عما يُعرف في علم الأعصاب بمهارة "المرونة العقلية Cognitive flexibility" التي تُعد إحدى أنواع "الوظائف التنفيذية" للفص الجبهي بالمخ Executive functions، وهو ما يُبرهن على تمام الانسجام بين العلم والقرآن الكريم. ونستنتج من ذلك أن القرآن الكريم هو كلام الله، وليس من تأليف بشر كما يدعي المبطلون.

### الكلمات المفتاحية

القرآن الكريم، القتال، متحيزاً، التفسير الطبي، الطب النفسي، علم الأعصاب، المرونة الذهنية، التفكير الإبداعي، التبديل بين المهام، المرونة العقلية، Cognitive flexibility، الوظائف التنفيذية، Executive functions

## 1. المقدمة

يُعرّف قاموس مصطلحات السرطان الخاص بمعهد السرطان الدولي NCI بالولايات المتحدة الأمريكية "علم الأعصاب المعرفي" بأنه: قدرة الإنسان على أن يُفكر وَيَعقل وَيَسْتدل. ويتضمن ذلك القدرة على التركيز، وتذكر الأشياء، ومعالجة المعلومات، والتعلم، والتحدث، والفهم. (1)

يمكن فهم مهارة "المرونة العقلية Cognitive flexibility" على أنها كفاءة عليا. وهي على وجه التحديد مهارة مفيدة للأداء التكيفي الذي يجب أن يستجيب للتحديات الجديدة في البيئات المتطورة. وتختلف المرونة العقلية عن الذكاء البشري لأن الأخير مقياس ثابت للأداء بينما يختبر الأول (المرونة العقلية) كيف يُغير الأفراد من إدراكهم من أجل الاستجابة لتحديات جديدة في حل المشكلات، كما لاحظ الباحث "بيكمان" أن المرونة العقلية تتضمن القدرة على التعامل مع المستجدات والأمور المستحدثة Novelty، وهي سمة مشتركة مع بعض تعريفات الذكاء مثل بناء الذكاء السائل. (2)

وفي البيئة المتغيرة باستمرار يجب أن يكون السلوك متكيفاً ومرناً، والمرونة العقلية هي القدرة على تكيف السلوك الهادف استجابةً لمتطلبات الموقف المتغيرة، ويشتمل التكيف السلوكي الناجح عند حدوث تغييرات في البيئة على العديد من العمليات العقلية (المعرفية) مثل: الانتباه، والتعلم الترابطي، واتخاذ القرار، واختيار الاستجابة الأنسب، والتثبيط، والذاكرة العاملة. (3)

## 2. هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى وضع تفسير طبي للتحرف والتحيز القتالي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ...﴾ (١٦) [سورة الأنفال] كاستراتيجيات عسكرية نوعية من بعض المحاربين عند ملاقات العدو، والكشف عما وراء تلك الاستراتيجيات من مهارة ذهنية تُسمى في علم الأعصاب المعرفي بـ "المرونة العقلية Cognitive flexibility"، والتي تُعد واحدة من ضمن "الوظائف التنفيذية بالدماغ Executive functions"، وهو ما يُثبت في النهاية انسجام العلم الحديث مع القرآن الكريم وأنه إن هو إلا وحى يوحى.

## 3. منهجية البحث

من أجل تحقيق الهدف السابق، قمت بكتابة مقدمة عن علم الأعصاب المعرفي والقدرات العقلية للإنسان، ثم قمت بذكر النص القرآني وبيان أقوال المفسرين، ثم ذكرت التوجيه العلمي الخاص بوظائف العقل عامة، والوظائف التنفيذية خاصة، ثم ذكرت التفسير الطبي للآية الكريمة رابطاً بين معناها في كتب التفسير والمعنى الطبي.

## 4. الدراسات السابقة

بالبحث على شبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت) عن وجود أبحاث مماثلة أو متشابهة تدور حول التفسير الطبي لآية: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ...﴾ (سورة الأنفال)، لم يتبين لي وجود دراسات سابقة مماثلة في تلك الآية، ويبدو أنني أول من طرق الباب على الإعجاز الطبي فيها.

## 5. إشكالية البحث

قد يستشكل على البعض لماذا جاء عنوان البحث تحت مُسمى التفسير الطبي، ولم يأت تحت مُسمى الإعجاز الطبي؟ والإجابة لأن التفسير العلمي عموماً يعنى الاستفادة من الحقائق العلمية المثبتة حديثاً بغرض توضيح المعاني القرآنية أو النبوية وفهمها فهماً علمياً، وليس بغرض إثبات أي سبق علمي خارق فيها، وهو ما بيّناه من خلال بحثنا هذا. حيث قدمنا فهماً طبياً معرفياً للآية الكريمة من خلال إبراز ما يحدث بالدماغ، من تفكير إبداعي يُمكن الجندي من المناورة في أرض المعركة، من كر وفر يهدف إلى سحق الخصم وإحراز النصر.

## 6. النص القرآني وتفسيره

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَفَدَّ بَاءَ بَعْضِ مَنْ لَمْ يَأْمُرْهُ اللَّهُ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۗ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ [سورة الأنفال].

الطبري: "وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ": ومن يولهم منكم ظهره، (إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ)، يقول: إلا مستطردًا لقتال عدوه، يطلب عورة له يمكنه إصابته فيكره عليه، (أو متحيزًا إلى فئة): أو أن يولهم ظهره متحيزًا إلى فئة، أي صائرًا إلى حيز المؤمنين الذين يفيتون به معهم إليهم لقتالهم، ويرجعون به معهم إليهم.

الكشاف: (إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ) هو الكرّ بعد الفرّ، يُخيل إلى عدوّه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو باب من خدع الحرب ومكايدها، (أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ)، أي: أو منحازًا إلى فئة، أي: إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها.

بن عاشور: وَمِنْ ثَمَّ اسْتَنْتَى مِنَ التَّوَلَّى حِينَ الزَّحْفِ حَالَةً "التَّحَرُّفُ" لِأَجْلِ الْحِيلَةِ الْحَرْبِيَّةِ، وَالْإِنْحِيَاظِ إِلَىٰ فِتْنَةٍ مِنَ الْجُنُودِ لِإِسْتِنْجَادِ بِهَا أَوْ لِإِنْجَادِهَا. (والتحرف) الانصراف إلى الحزب، وَهُوَ الْمَكَانُ الْبَعِيدُ عَنِ وَسْطِهِ. فَالتَّحَرُّفُ مُزَايَلَةُ الْمَكَانِ الْمُسْتَقَرِّ فِيهِ وَالْعُدُولُ إِلَىٰ أَحَدِ جَوَانِبِهِ، وَهُوَ يَسْتَدْعِي تَوَلِّيَةَ الظُّهْرِ لِذَلِكَ الْمَكَانِ بِمَعْنَى الْفِرَارِ مِنْهُ، أَمَا التَّحِيُّزُ فَهُوَ طَلْبُ الْحِيزِ فَيُعْلَمُ مِنَ الْحَوَزِ، وَمَعْنَى (مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ) أَنْ يَكُونَ رَجَعَ الْفُهْرَى لِيَلْتَجِئَ بِطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَتَّقَى بِهِمْ. وَالْفِتْنَةُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ.

## 7. التوجيه العلمي

**أركان العقل:** يتم تقييم العقل Cognition بناءً على 6 أركان هم: الذاكرة، والتعلم، واللغة (فهماً وتعبيراً)، والانتباه المركب، الإدراك – الاستجابة الحركية، والذكاء الاجتماعي، والوظائف التنفيذية. (7)

**الوظائف التنفيذية بالمخ:** هي وظائف تُسمى بالتحكم التنفيذي أو التحكم العقلي. وهي وظائف تشير إلى مجموعة من العمليات العقلية النازلة Top –down control والوظائف التنفيذية الأساسية هي: (8)

• التحكم المثبت: هو قدرة الفرد على التحكم في انتباهه وسلوكه وأفكاره و / أو عواطفه للتغلب على نزعات داخلية قوية أو إغراءات خارجية.

• الذاكرة العاملة: الاحتفاظ بالمعلومات في الاعتبار والعمل بها ذهنياً (على سبيل المثال: ربط شيء بشيء آخر، استخدام المعلومات لحل مشكلة ما).

• ضبط الذات: وتتمثل في مقاومة الشخص للأهواء والاعراض وعدم التصرف باندفاعية أو بطريقة غير ناضجة.

• التحكم في التشويش: مثل الانتباه الإنتقائي، والتثبيط العقلي.

• المرونة العقلية: وهي تغيير وجهات النظر أو منهجية التعامل مع مشكلة ما والتكيف بمرونة مع المستجد من المتطلبات أو القواعد

أو الأولويات مثل التفكير الإبداعي Creative thinking (كالتفكير خارج الصندوق، والنظر إلى الأشياء والأمور من زوايا مختلفة، التأقلم المرن والسريع مع الظروف المتغيرة) ومثل التبديل بين المهام.

**خصائص المرونة العقلية:** هي قدرة الإنسان على تسخير "استراتيجيات المعالجة الذهنية" في مواجهة الظروف المستجدة وغير المتوقعة في البيئة. يتضمن هذا التعريف خصائص مهمة. أولاً: المرونة العقلية هي قدرة يمكن أن تنطوي على عملية تعلم! أي أنه يمكن اكتسابها بالخبرة. ثانياً: تتضمن المرونة العقلية تسخير الاستراتيجيات الخاصة بالمعالجة العقلية.

والاستراتيجية - في سياق هذا التعريف - هي سلسلة من العمليات التي تُبحث من خلال مساحة مشكلة ما. لذلك، تشير المرونة العقلية إلى التغييرات في السلوكيات المعقدة وليس في الاستجابات المنفصلة. ثالثاً: سيحدث التكيف مع التغييرات البيئية الجديدة

وغير المتوقعة بعد أن يقوم الشخص بأداء مهمة ما لبعض الوقت، بالإضافة إلى ذلك، فإنه من أجل أقلمة السلوك مع الظروف الجديدة، يحتاج الشخص إلى إعادة هيكلة معرفته من أجل تفسير الوضع الجديد ومتطلبات المهمة الجديدة بشكل فعّال. لذلك، تعتمد

المرونة العقلية على عمليتي الانتباه وتمثيل المعرفة. فمن أجل اكتشاف أن الموقف قد تغير وأن هناك ضرورة لظهور استجابات غير تقليدية ابداعية، فهناك حاجة إلى مستوى أعلى من التحكم الانتباهي بينما يقوم الشخص اثناء ذلك بتقييم الوضع الجديد والتخطيط

للإجراء الذي يتعين اتخاذه. (9)

لكي يكون الشخص مرناً عقلياً يحتاج إلى إدراك الظروف البيئية التي يمكن أن تتداخل مع المهمة التي يقوم بها. بالإضافة إلى ذلك، هناك حاجة لاستثمار الموارد في إجهاد الاستجابة التلقائية من الذات، وبالتالي التخطيط لسلسلة جديدة من الإجراءات المقابلة التي

تعالج بشكل فعّال متطلبات المهام الجديدة. (9)

## 8. التفسير الطبي

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَنْدَابَ ۗ ﴾ (15) وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يُؤَمِّنْهُ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَفَدَّ بَاءَ بَعْضِ مَنْ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْمَصِيرُ ۗ ﴾ (16) [سورة الأنفال]. في تلك الآية الكريمة، استثنى المولى تعالى من إثم "التولي يوم الزحف" عند ملاقاته العدو فعلمنا اثنين، قد يقوم بهما الجندي المسلم كاستراتيجيات حربية غير تقليدية. الأول هو الفرار بغرض خداع العدو، ثم الكرّ عليه مرة أخرى عندما يرى لديه عورة وثغرة، فيصيبها لتحقيق عنصر المفاجأة والخديعة، وبالتالي الظفر بالمعركة. والثاني هو الانضمام إلى فئة أخرى بغرض دعمه لهم أو التقوى بهم، وهي أمور إبداعية مبتكرة قد يلجأ إليها الجندي في ساحة القتال إذا استشعر صعوبة الموقف، أو ظهر له ما لم يتوقع من مفاجآت عسكرية معادية. كما حدث عندما تفاجئ جند المسلمين لأول مرة بسلاح الأفيال (33 فيلاً حربياً) في معركتهم ضد الفرس يوم القادسية، تحت قيادة المخضرم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وذلك على سبيل المثال.

وفي علم الأعصاب المعرفي تُعرّف مهارة "المرونة العقلية Cognitive flexibility" بأنها القدرة على تغيير وجهات النظر أو منهجية التعامل مع مشكلة ما والتكيف بمرونة مع المستجد والمستحدث وغير المتوقع من المواقف، ومن أمثلة ذلك "التفكير الإبداعي Creative thinking"، كالتأقلم المرن والسريع مع الظروف المتغيرة، والتفكير خارج الصندوق، والنظر إلى الأمور من زوايا مختلفة. أو مثل التبديل بين المهام.

وبالنظر إلى التعريف السابق و إلى تفسير الآية الكريمة (إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة) نجد أن ما قد يقوم به بعض الجنود في المعارك الصعبة من تحرف لإيجاد ثغرة لدى العدو يهاجمها أو من تحيز إلى فئة يقويها أو يتقوى بها لهو من استراتيجيات التأقلم العقلي السريع مع مستجدات المعركة ولهو من التفكير خارج الصندوق وليد الموقف "التفكير الإبداعي Creative thinking"، ولهو أيضاً من القدرة على "التبديل بين المهام" حيث الفرّ ثم الكرّ، وكل ما سبق من حيل حربية نتاج مهارة "المرونة العقلية" التي تُعد في علم الأعصاب أحد مهارات "الوظائف التنفيذية بالدماغ Executive functions"، علماً بأن مهارة "المرونة العقلية Cognitive flexibility" تختلف عن الذكاء العام في كونها مهارة تختبر الأفراد في كيف يُغيّرون من إدراكهم من أجل الاستجابة لتحديات جديدة في حل المشكلات.

وجدير بالذكر أن تواجد نية صادقة من الخند في الثبات يوم الزحف يسمح بتفجير وتنشيط مثل تلك الملكات العقلية والسلوك الإيجابي في أرض المعركة بينما تفعل النية غير الصادقة عكس ذلك.

وبذلك يكون "علم الأعصاب المعرفي" قد قدم لنا تحليلاً وتفسيراً علمياً لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ ... ﴾ (16) [سورة الأنفال]، والذي ارتكز على كيف يتأقلم الجندي بمهارة "المرونة العقلية Cognitive flexibility"، مع ما قد يواجهه من مستجدات في ساحة القتال تجنباً للهزيمة، أو القتل والجراح، أو تجنباً للوقوع في إثم "التولي يوم الزحف"، وهو ما يُبرهن على انسجام القرآن مع الطب المعاصر، بما يُثبت صدقه و صدق مُبلّغه رغم نزوله منذ أكثر من 14 قرن من الزمان ليزداد الذين آمنوا إيماناً و ليدرك غير المسلمين بأن القرآن كلام الله لا ريب.

## 9. التوصيات

نوصي الباحثين في مجال الإعجاز الطبي بالكشف عن المزيد من إشارات القرآن الكريم إلى القدرات المعرفية الأخرى للإنسان، لنثبت للعالم أجمع أن القرآن الكريم كتاب يحوي بداخله من شتى العلوم، على رأسهم علم الأعصاب المعرفي.

## 10. الخلاصة

استثنى ربنا سبحانه من جريمة "التوالي عند الزحف" المتحرفين في القتال أو المنحازين إلى فئة أخرى ضعيفة من الجيش. وهو ما فسره طبيباً بمهارة تُسمى في علم الأعصاب المعرفي بـ "المرونة العقلية Cognitive flexibility" والتي تُمكن الفرد من مواجهة المستجدات، والتصرف بحسب ما يقتضيه الحال بما يعود عليه بتحقيق الهدف المنشود.

## المراجع

1. Definition of neurocognitive –NCI Dictionary of cancer Terms, at <https://www.cancer.gov>
2. Metacognition, Mind Wandering, and Cognitive Flexibility: Understanding Creativity, Article, Journal of Intelligence 10:69. <https://doi.org/10.3390/jintelligence10030069>, Published: 16 September 2022
3. Dopaminergic control of cognitive flexibility in humans and animals, ARTICLE published:05November2013, doi: 10.3389/fnins.2013.00201.
4. تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل أي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ص 435)
5. تفسير الكشاف - أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي (ص 206)
6. تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور (ص 289، 290):
7. Sachdev PS, Blacker D, Blazer DG, Ganguli M, Jeste DV, Paulsen JS, Petersen RC. Classifying neurocognitive disorders: the DSM-5 approach. Nat Rev Neurol. 2014 Nov;10(11):634-42. [PubMed: 25266297].
8. Executive functions, Article in Handbook of Clinical Neurology · January 2020, DOI: 10.1016/B978-0-444-64150-2.00020-4, <https://www.researchgate.net/publication/344354297>.
9. Cognitive Flexibility, Chapter. March 2006, DOI: 10.13140/2.1.4439.6326 at: <https://www.researchgate.net/publication/272022148>.

---

يسمح بالاقْتباس والاستشهاد بالبحث وبأجزاء منه مع الاستشهاد به كما مدون في هامش الصفحة الأولى من هذا البحث (مع ذكر المؤلف والمجلة). كما يسمح بالطباعة والتوزيع عدا التوزيع التجاري.  
© جميع الحقوق محفوظة للمجلة الأكاديمية للإعجاز العلمي.